الايام : من انـا ؟ ومن نحـن ؟ الخ ٠٠

ولا يزال بيننا من شهـود تلك المرحلة رجال ـ مد اللـه في اعمارهم ـ ممـن يحدثوننا عـن تلك الفترة بكل الزهـو والاعتزاز ، يوم كان يلتقي الرجال مـن كل صوب وحـدب ، من جبـل لبنان وساحـل فلسطين وصحارى سوريا والعراق وراء الهدف الواحد وتحت راية واحـدة هي راية العروبة ، رايـة الحريـة والوحدة ٠ المراية البديلة لراية القبلية الضيقة او الطائفية المتعصبة ٠

ولكنها ـ للاسف ـ كانت فتـرة قصيرة العمر ، كعمـر البـرق في البهيـم ، يلمع ويضيء وسرعان ما يمضي ٠ لم يكن ذلك من حكم القضـاء ، او القدر ، ولا لان رواسب الماضي كانت اقوى من الرابطة الجديدة ، بل لان « الحليف »الذي ناصرناه ضد الحاكم العثماني المستبد ، لم يكن سوى الصورة المتجددة لنـوع جديد من الطغيان والاستبداد ٠

ان الاستعمار الاوروبي الذي ورث العثمانيين في هذه المنطقة ، كان امكر من ان يترك لاهل البلاد حرية تقرير المصير واقامة دولتهم « العربية » الواحـدة المستقلة ٠

وقبل ان تجف دماء شهدائنا الابرار الذين ساهمـوا في صنع هذا النصـر الاوروبي املا في الخلاص من النير التركي ، كان اقطاب الاستعمار قد تناسـوا كل وعودهم ونكثوا كل عـهودهم ، فعـكفوا على خريطة هذه المنطقة كالقراصنة يقطعـون في اوصالها وفق مصالحـهم واطماعـهم ٠

وكانت اتفاقية « سايكس ـ بيكو » الشهيرة التي قسمت المنطقة الى دويلات وولايات منهـا ما اخضع للانكليز ومنها ما اخضع للفرنسيين ٠

ليس هذا وحسب ، بل ان الاستعـمار الاوروبي ، ولا سيما البريطاني منه ، ومن خلال نظرة مستقبلية لمصالحـه ، وخشية مما يمكن ان تتطور اليه الحال مع الايام والسنين ، وتامينا لاستمرار السيطرة عـلى هذه المنطقة ، بذر فـي قلبها الجرثومة السرطانية التي تحولت ـ وفق ما رسموا وخططوا ـ الى دولة تعرف اليوم باسرائيل ، اكبر قاعـدة للامبريالية الحديثة ـ وريثة الاستعـمار القديم ـ في العـالم كله ، وصاحبة ابشع نظرية عنصرية متخلفة ٠

ولتبرير جريمتهم ، وتقسيمهم للوطن الواحد ، كان لا بـد للمستعمريـن الاوروبيين من اللجوء الى سياسة « فرق تسد » من خـلال توظيـف رواسب الماضي بعد بعثها ونفخ روح الحياة فيها من جديد ٠ واي رواسب يسهـل اثارتها ـ في مجتمع متخلف آنئذ ـ اكثر من رواسب القبلية والمذهبية ٠

حتى ضمن مناطق النفوذ الواحد لم يكتف البريطانيون ولا الفرنسيون ببقائهـا